حافظ الاسد، بحقده المعروف على «فتح»، لانشقاق كبير في الحركة، وهي كبرى منظمات المقاومة والعمود الفقري في منظمة التحرير الفلسطينية، تخللته حتى محاولة لاغتيال رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة، بأطلاق النار على موكبه وهو يتنقل داخل سوريا، ثم طرده بصورة مهينة من البلد. ورافقت ذلك محاولات حثيثة لاحداث انقلاب داخل المنظمة، على غرار الحركة «التصحيحية» التي قام بها الاسد يوم اغتصب السلطة في دمشق. ولم تقف جرائم النظام السوري عند هذا الحد، بل انه شجع فيما بعد على استمرار اقتتال الاخوة، بتقوية الفتنة داخل صفوف الفلسطينيين، وساهم، بشكل فعال، في محاصرة قوات منظمة التحرير الفلسطينية في طرابلس، في اواخر العام ١٩٨٣، وحصل على «شرف» اجلائها من طريق البحر ثانية، تماماً كما فعل الصهيوني شارون قبل سنة ونصف السنة، في صيف ١٩٨٢.

ولم تجد كل تلك المحاولات نفعاً، فاستشاط نظام العبث الدمشقي غيظاً، وامعن في حقده، وقرّر رمي ورقته الاخيرة، ولعب لعبة «الشرعية الفلسطينية»، على اعتبار ان شرعيته هو، نقصد اغتصابه السلطة، لا غبار عليها. وبناء عليه، قام حكام دمشق، بتخطيط واشراف «المفكر» عبدالحليم خدام، بالايعاز الى عملائهم وجواسيسهم ومخبريهم والمحسوبين عليهم في المنظمات المسماة فلسطينية، بمقاطعة مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، وخصوصاً لجنتها التنفيذية، في محاولة لشلها؛ فراحت فعلاً هذه المقاطعة تعلن ـ حسب الاوامر ـ من منيظمة بعد أخرى. ثم اتسع النطاق ليشمل «الشخصيات» المسماة وطنية. وعندما تلكأ بعضهم في تنفيذ تلك الاوامر، أُوضح لهم ان عليهم الاختيار بين اعلان المقاطعة او ترك سوريا وكذلك مناطق تواجد قوات القمع الاسدية في لبنان. وكان من بين من خضع لهذه التعليمات، في المرحلة الأخيرة، المنظمة المعروفة باسم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (وحتى لا يخطئ احد في التعرف عليها، نضيف اننا نقصد المنظمة التي امينها العام السيد نايف حواتمة، ونائبه السيد ياسر عبدربه، الذي كان، ذات مرة، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، والتي تصدر مجلة اسمها «الحرية»). ولم يقف الهلع بهذه المنظمة عند هذا الحد، بل انه ـ على سبيل المثال ـ عندما تصادف مرة وجود السيد ياسر عبدربه في احدى الدول العربية الافريقية مع وجود عرفات فيها في الوقت عينه، سارع السيد عبدربه الى الاعلان، دون وجل، انه لم يقابل عرفات، على اعتبار ان مقابلته تعتبر «مخالفة» للتعليمات الخدّامية. بل ان اذاعة مونت كارلو قامت ببث النبأ. ويبدو انه حتى المذيع لم يستطع ان يتحمل ذلك الخزي، فأكمل «البهدلة» (للجبهة الديمقراطية، طبعاً) بالقول ان الخبر جاءه، تحديداً، من اعلام الجبهة الديمقراطية (يوجد جهاز بهذا الاسم لدى ذلك التنظيم). وبذلك ضمن السيد عبدربه رجوعه الى دمشق ثانية، وبقاء جماعته فيها.

واذا كنّا، في هذا الصدد، نخص الجبهة الديمقراطية بذكرها بالاسم، دون غيرها، فذلك مرده الى انها الجهة الاكثر صراخاً وعويلاً وادعاء الحرص على الوحدة الوطنية (والتي تمنحها عادة، ولو «على عينك يا تاجر»، نفوذاً يزيد على حجمها). ان الجبهة أياها تكاد ـ يا حرام ! ـ «تذوب» حباً في الوحدة الوطنية وتفانياً من اجلها وحرصاً عليها، بل انها لن تمتنع حتى عن التعاون مع «اليمين» الفلسطيني (القصد، بالطبع، القوى الوطنية الوسطية، الليبرالية المستنيرة، العاقلة والمتزنة، التي تشكل الاكثرية، عدة وعدداً، في العمل الفلسطيني، والتي لولاها لما خرج ذلك العمل عن اطار ناد سياسي لمراهقين مستيسرين) في سبيل تلك